

الإمام أحمد بن حنبل
ترجمة

ومنهجه في تأليف المسند

الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجدي

تقديم
ناصر الدين الجزائري

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

.... لا إله إلا الله وحده لا شريك له أشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم ، إنك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب

اللهم أمدني بحولٍ وقوة منك يا رب العالمين
اللهم إني أبرء من حول نفسي وقوتها إلى حولك وقوتك لا إله إلا أنت.
القوي من اعتصم بك ، والدليل من ضلّ عن شرعك وأمرك
نسألك أن تهدينا وتعيذنا من الضلالة
أما بعد:

فهذه ترجمة من سيرة الإمام المحدث أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى، ومنهجه في تأليف كتابه (المسند)

أما بعد، فقد طلب مني المشرفون على وقف السلام الخيري بمدينة الرياض، أن أترجم لعلم من أعلام الحديث، وإمام من أئمتهم، فاخترت أن أترجم للإمام أحمد بن حنبل، لم لهذا الإمام من المحبة والقبول والإجلال عند الناس جميعاً، وفي الأوساط العلمية خاصة.
ورأيت أن تكون الترجمة مشتملة على الأبحاث التالية:

١ - التعريف بنسبه رحمه الله

٢- التعريف بمولده

٣- الكلام عن نشأته

- ٤- بداية طلبه للعلم
- ٥- شيوخه
- ٦- رحلته في طلب العلم
- ٧- حفظه للعلم
- ٨- ورعه وثناء العلماء عليه
- ٩- أوصافه الشخصية
- ١٠- ثبته في المحنة في عهد المعتصم
- ١١- منعه من التحديث
- ١٢- المحنة في عهد الواثق
- ١٣- انتهاء المحنة بولاية المتوكل على الله
- ١٤- حال الإمام في دولة المتوكل
- ١٥- جهاده لأهل البدع
- ١٦- وفاته
- ١٧- مؤلفاته رحمه الله
- ١٨- منهج الإمام أحمد في تأليف المسند.

وهذا أو ان البدأ في البحث فأقول:

١- التعريف بنسبه:

قال الإمام محمد بن أحمد الذهبي المتوفى في سنة ٧٤٨هـ رحمه الله في كتابه (سير أعلام النبلاء) في الجزء (١١) الصفحة (١٧٧)

رقم الترجمة (٧٨) قال: ((هو الإمام حقاً وشيخ الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة - وبعض النسايين يقدمون: بن ذهل بن شيبان - وساق النسب إلى بكر وائل - ثم قال: الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد الأئمة الأعلام هكذا ساق نسبه ولده عبد الله واعتمده أبو بكر الخطيب في تاريخه وغيره. ويلتقي نسبه بنسبي النصب صلى الله عليه وسلم في نزار بن معد بن عدنان.

٢- مولده:

قال الإمام الذهبي: ((وكان محمد والد أبي عبد الله من أجناد مرو مات شاباً له نحو من ثلاثين سنة ورُبي أحمد يتيمًا، وقيل ان امه تحولت من مرو وهي حامل به رحمها الله. وقال أبو داود: سمعت يعقوب الدورقي سمعت أحمد يقول: وُلدت في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومئة (١٦٤)).

٣- نشأته:

نشأ يتيمًا في حجر أمه، ونقل صالح عن أبيه: أنه قال: ثقت أُمي أذني فكانت تصير فيها لؤلؤتين فلما ترعرعت نزعتهما فكانت عندها ثم دفعتهما إلي فبعتهما بنحو من ثلاثين درهما.

٤- بداية طلبه للعلم:

قال الإمام الذهبي: ((كان وهو ابن خمس عشرة سنة في العام الذي مات فيه مالك وحماد بن زيد - قلت: كان ذلك في عام ١٧٩ هـ -

٥- شيوخه:

قال الذهبي رحمه الله: ((سمع من إبراهيم بن سعد قليلا ومن هشيم بن بشر فأكثر وجود ومن عباد بن عباد المهلبي ومعتمر بن سليمان التيمي وسفيان بن عيينة الهلالي وأيوب بن النجار ويحيى بن أبي زائد وعلي بن هاشم بن البريد وقران بن تمام وعمار بن محمد الثوري والقاضي أبي يوسف، وذكر عدداً من المشايخ الذين أخذ عنهم.

ثم قال الذهبي: ((فعدة شيوخه الذين روى عنهم في المسند مائتان وثمانون ونيّف. حدّث عنه البخاري حديثاً واحداً، وعن أحمد بن الحسن عنه حديثاً آخر في المغازي، وحدّث عنه مسلم وأبو داود بجملة وافرة، وروى أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه عن رجل عنه، وحدّث عنه أيضاً ولداه صالح وعبد الله وابن عمه حنبل بن إسحاق، ومن شيوخه عبد الرزاق، والحسن بن موسى الأشيب وأبو عبد الله الشافعي، لكن الشافعي لم يسمه بل قال: حدّثني الثقة، وحدّث عنه علي بن المديني ويحيى بن معين ودحيم وأحمد بن صالح وأحمد بن أبي الحواري ومحمد بن يحيى الذهلي، وأحمد بن إبراهيم الدورقي وأحمد بن الفرات، وذكر جملة ممن حدّثوا عنه بعضهم من شيوخه.

قال ابن أبي حاتم: أخبرنا أبو زرعة أن أحمد أصله بصري وخطته بمرو. وحدّثنا صالح: سمعت أبي يقول مات هشيم فخرجت إلى الكوفة سنة ثلاث وثمانين وأوّل رحلاتي إلى البصرة سنة ست - أي ست وثمانين - وخرجت إلى سفيان سنة سبع فقدمنا وقد مات الفضيل بن عياض، وحججت خمس حجج منها ثلاث راجلاً، أنفقت في إحداها ثلاثين درهماً، وقدم ابن المبارك في سنة تسع وسبعين وفيها أوّل سماعي من هشيم فذهبت إلى مجلس ابن المبارك، فقالوا قد خرج إلى طرسوس، وكتبت عن هشيم أكثر من ثلاثة آلاف، ولو كان

عندي خمسون درهما لخرجتُ إلى جَرِيرِ إلى الرَّيِّ.

قال الإمام الذهبي: لقد سَمِعَ منه أحاديث، وسمعتُ أبي يَقُول: كتبتُ عن إبراهيم ابن سعد في ألواح، وصليتُ خلفه غيرَ مرّة، فكان يُسلِّمُ واحدًا.
قال: وقد رَوَى عنه مِن شيوخه ابنُ مهدي. انتهى.

٦- رحلته في طلب العلم رحمه الله:

قال المروزي: سمعتُ أبا عبد الله يقول: مات هشيم وليّ عَشْرُونَ سَنَةً فخرجت أنا والأعرابي رفيقُ كان لأبي عبد الله، قال: فخرجنا مُشاةً فوصلنا الكوفة - يعني في سنة ثلاث وثمانين (٨٣) - فأتينا أبا معاوية وعنده الخلق فأعطى الأعرابي حجةً بستين درهماً، فخرج وتركني في بيتٍ وحدي فاستوحشتُ وليس معي إلا جرابٌ فيه كُتُبِي كنتُ أضعه فوقَ لَبَنَةٍ وأضعُ رأسي عليه، وكنتُ أذكرُ وكيعًا بحديث الثوري.

٧- حفظه للعلم

قال المروزي: ((وذكر مرة شيئاً، فقال: هذا عند هُشَيْمٍ، قلتُ: لا، وكان ربّها ذَكَرَ العشرة أحاديث فأحفظها، فإذا قام قالوا لي فأملِها عليهم.
وحدثنا عبد الله بن أحمد قال لي أبي: خذ أيّ كتابٍ شئتَ مِن كُتُبِ وَكَيْعٍ مِنَ الْمُصَنِّفِ إن شئتَ أن تسألني عن الكلام حتى أُخبرك بالإسناد، وإن شئتَ بالإسناد حتى أُخبرك بالكلام. قلتُ: يريد بالكلام: المتن، أي متن الحديث الذي يتوصلُ إليه بالإسناد.

قال الإمام الذهبي: وسمعتُ أبا إسماعيل الترمذي يذُكُرُ عن ابنِ نُمَيْرٍ، قال: كنتُ عندَ وَكَيْعٍ

فجاءه رجل، أو قال: جماعة من أصحاب أبي حنيفة، فقالوا له: ها هنا رجلٌ بَغْدَادِي يتكلم في بعض الكوفيين، فلم يعرفه وكيع، وبيننا نحن كذلك إذ طلَعَ أحمدُ بنُ حنبلٍ، فقالوا: هذا هو

فقال وكيع: ها هنا يا أبا عبد الله، فأفْرَجوا له، فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي يُنكروُن، وجعل أبو عبد الله يَحْتَجُّ بالأحاديث عن النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالوا لو كيع: هذا بحضرتك ترى ما يقول.

فقال وكيعُ رجلٌ يقولُ قال: رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم إيش أقول له؟ ثمَّ قال: ليس القولُ إلَّا كما قلتَ يا أبا عبد الله. فقال القومُ لو كيع: خدعك والله البغدادي.

وعن أحمد الدُّورقي عن أبي عبد الله قال: نحنُ إذا كتبنا الحديث من ستَّة وُجوهٍ أو سبعة، لم نضبَطُه، فكيف يضبطُه من كتبه من وجهٍ واحدٍ؟

قال عبد الله بن أحمد: قال لي أبو زُرعةُ أبوك يَحْفَظُ ألفَ ألفِ حديث، فقيل: وما يُدريك؟ قال: ذاكرتُه فأخذتُ عليه الأبواب.

قال الإمام الذهبي: فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يُعدُّون في ذلك المكرر والأثر، وفتوى التابعين وما فسَّر ونحو ذلك، وإلَّا فالتون المرفوعة القويَّة لا تبلغُ عشرَ معشارٍ ذلك.

قال إبراهيم الحربي: رأيتُ أبا عبد الله كأن الله جمَع له علمُ الأوَّلِين والآخِرِين.

قال الخلال: أخبرنا المروزي قال: سمعتُ محمد بن يحيى القطان يقول: رأيتُ أبي مُكرِّمًا لأحمد بن حنبل، لقد بذَّل له كُتُبَه - أو قال: حديثه.

وقال القَوَارِيرِي: قال يحيى القطان: ما قَدِمَ عليَّ من بغداد أحبُّ إلي من أحمد بن حنبل.

وقال عبد الله بن أحمد: سمعتُ أبي يقول: شقَّ على يحيى بن سعيد يومَ خرجتُ من البصرة.

قال عمرو بن العباس: سمعتُ عبد الرحمن بن مهدي ذكرَ أصحابَ الحديث، فقال: أعلمهم بحديث الثوري أحمد بن حنبل قال فأقبل أحمد بن حنبل، فقال: مَنْ أراد أن ينظرَ إلى ما بين كَتَفَي الثَّورِي فليَنظُرْ إلى هذا.

وقال أبو الوليد الطيالسي: ما بالمصريين رجلٌ أكرمُ عليَّ من أحمد بن حنبل.

قال عبد الله بن أحمد: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: قَدِمْتُ صَنْعَاءَ أَنَا وَيَحْيَى بن مَعِينٍ فَمَضَيْتُ إِلَى عَبْدِ الرَّزَاقِ فِي قَرْيَتِهِ، وَتَخَلَّفَ يَحْيَى، فَلَمَّا ذَهَبْتُ أَدُقُّ الْبَابَ، قَالَ لِي بِقَالَ مُجَاهَ دَارِهِ: لَا تَدُقْ فَإِنَّ الشَّيْخَ يُهَابَ، فَجَلَسْتُ حَتَّى إِذَا كَانَ قَبْلَ الْمَغْرِبِ خَرَجَ فَوَثَّبْتُ إِلَيْهِ وَفِي يَدَي أَحَادِيثَ انْتَقَيْتُهَا، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: حَدِّثْنِي بِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ رَحِمَكَ اللَّهُ فَإِنِّي رَجُلٌ غَرِيبٌ.

قال: وَمَنْ أَنْتَ؟ وَزَبَرَنِي.

قلتُ: أَنَا أَحْمَدُ بن حنبل.

قال: فَتَقَاصَرَ، وَضَمَّنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: بِاللَّهِ أَنْتَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ؟

قال: ثُمَّ أَخَذَ الْأَحَادِيثَ وَجَعَلَ يَقْرُؤُهَا حَتَّى أَظْلَمَ. فَقَالَ لِلْبَقَّالِ " هَلُمَّ الْمَصْبَاحَ، وَكَانَ عَبْدُ

الرِّزَّاقُ يُؤَخِّرُ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ.

٨- ورعه وثناء العلماء عليه رحمه الله:

قال الإمام الذهبي في (السير): قال الخلال حدثنا الرَّمَادِي سَمِعْتُ عبد الرزاق وذكر أحمد بن حنبل فدمعت عيناه، قال بلغني أَنَّ نَفَقَتَهُ نَفَدَتْ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَأَقَمْتُهُ خَلْفَ الْبَابِ وَمَا مَعَنَا أَحَدٌ، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَجْتَمِعْ عِنْدَنَا الدَّنَائِرَ إِذَا بَعْنَا الْغَلَّةَ أَشْغَلْنَاهَا فِي شَيْءٍ، وَقَدْ وَجَدْتُ عِنْدَ النِّسَاءِ عَشْرَةَ دَنَائِرٍ فَخُذْهَا وَأَرْجُو أَنْ لَا تُنْفِقَهَا حَتَّى يَتَهَيَّأَ شَيْءٌ.

قال: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ قَبَلْتُ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا قَبِلْتُ مِنْكَ.

وقال عبد الله قلت لأبي: بلغني أَنَّ عبد الرزاق عَرَضَ عَلَيْكَ دَنَائِرٍ.

قال: نعم، وأعطاني يزيد بن هارون خمسمائة درهم.

انتهى الشريط الأول:

الشريط الثاني:

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن علي بن المديني وأحمد بن حنبل أيهما أحفظ؟ فقال: كانا في الحفظ متقاربين وكان أحمد أفقه، إذا رأيت من يُجِبُّ أحمد فاعلم أَنَّهُ صاحب سنّة.

وقال أبو زرعة: أحمد بن حنبل أكبر من إسحاق وأفقه، وما رأيت أحداً أكمل من أحمد.

وقال ابن وارة: كان أحمد صاحبُ فقه، صاحبُ حفظ، صاحبُ معرفة.

وقال النَّسائي: جَمَعَ أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقهِ والورع والزهد والصبر.

قال الخلال: أخبرني محمد بن موسى قال: رأيت أبا عبد الله وقد قال له خراساني: الحمد لله الذي رأيتك.

قال: اقعد أي شيء ذا من أنا؟ - يعني كره كلامه هذا.

وعن رجل قال: رأيت أثر الغم في وجه أبي عبد الله وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيراً

قال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً من أنا وما أنا؟

قال الخلال: أخبرنا علي بن عبد الصمد الطيالسي قال: مسح يدي على أحمد بن حنبل وهو ينظر فغضب وجعل ينفض يده ويقول: عمّن أخذتم هذا؟

قال عبد الله بن بشر الطالقاني: سمعت محمد بن طارق البغدادي يقول: قلت لأحمد بن حنبل: استمد من محبرتك، فنظر إلي وقال: لم يبلغ ورعي ورعك هذا، وتبسم.

قال عبد الله بن أحمد: سمعت أبي يقول: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافاً لا علي ولا لي.

وقال المروزي: أدخلت إبراهيم الحصري على أبي عبد الله وكان رجلاً صالحاً فقال: إن أمي رأت لك مناماً هو كذا وكذا وذكرت الجنة فقال: يا أخي إن سهل بن سلامة كان الناس يُخبرونه بمثل هذا، وخرج في سفك الدماء. وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغره.

وترجم للإمام أحمد ابن كثير في (البداية والنهاية) في الجزء (١٠) صفحة (٣٤٠)، وذكر نسبه كما قلناه من (سير أعلام النبلاء) إلى بكر بن وائل ثم أوصله إلى نزار بن معد بن عدنان، وأنه قدم به أبوه من مرو إلى بغداد، ووضعت أمه ببغداد في سنة ١٦٤ هـ من ربيع الأول، وتوفي أبوه هو ابن ثلاث سنوات، وكفلته أمه، وقد كان في حدائته يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف، ثم ترك ذلك وأقبل على سماع الحديث.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه عن حرملة سمعت الشافعي قال: وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم علي مصر فلم يقدم.

قال ابن أبي حاتم: يشبه أن تكون خفة ذات اليد منعتة -- يعني قلة المال - أن يفي بالعدة وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والآفاق وسمع من مشايخ العصر، وكانوا يجلبونه ويحترمونه في حال سماعه منهم، وقد سرد شيخنا في تهذيبه أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم، -المقصود به (تهذيب الكمال) للمزي- وكذلك الرواة عنه، قال البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الإمام أحمد وقد ذكر أحمد بن حنبل في المسند وغيره الرواية عن الشافعي وأخذ عنه جملة من كلامه في أنساب قريش.

قلت: (القائل هنا ابن كثير): قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثاً، ومن أحسن ما روياه عن الإمام أحمد عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نَسْمَة

المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه إلى جسده يوم البعث))^(١)

وقال الشافعي لأحمد لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد في سنة تسعين ومئة وعمر أحمد إذ ذاك نيفٌ وثلاثون سنة، قال له: يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهبُ إليه حجازياً كان أو شامياً أو عراقياً.

وقول الشافعي هذا له تعظيماً لأحمد وإجلالٌ له وأنه عنده بهذه المثابة إذا صحَّح أو ضعَّف يُرجعُ إليه.

وقال ابن كثير رحمه الله في (ج ١٠) صفحة (٣٤٥):

وروى البيهقي عن الربيع قال: بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب، فقال: أقرأتُه؟

فقلت: لا، فأخذَه فقرأه فدمعتُ عيناه، فقلتُ: يا أبا عبد الله وما فيه؟

فقال: يذكر أنه رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام، فقال: اكتب إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل وأقرأ عليه السلام مني وقل له: إنك ستمتحن وتُدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تُجِبْهُمْ، ويرفع الله لك علماً إلى يوم القيامة.

¹ - قال الشيخ الألباني رحمه الله: (صحيح): النسائي (٢٠٧٣)، ابن ماجه (٤٢٧١)، صحيح الجامع (٢٣٧٣)، المشكاة (١٦٣٢).

٩- أوصافه الشخصية

قال الإمام الذهبي في (السير) (ج ١١) صفحة (١٨٤):

قال ابن ذرّيح العكبري: طلبت أحمد بن حنبل فسلمت عليه وكان شيخاً مخضوباً طوّالاً أسمر شديد السُمرة.

وعن محمد بن عباس النخوي قال: رأيت أحمد بن حنبل حسن الوجه ربعةً مخضّب بالحناء خضاباً ليس بالقاني في لحيته شعرات سود ورأيت ثيابه غلاظاً بيضاً، ورأيتُه مُعتماً وعليه إزار.

قال المروزي: رأيت أبا عبد الله إذا كان في البيت عامة جلوسه متربّعاً خاشعاً، فإذا كان برآلم يتبّين منه خشوع، وكنْتُ أدخل والجزء في يده يقرأ.

قال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله يقول: تزوّجتُ وأنا ابن أربعين سنة فرزق الله خيراً كثيراً.

وقال أبو بكر الخلال في كتاب (أخلاق أحمد) وهو مجلد أملى عليه زهير بن صالح بن أحمد قال: تزوّج جدّي عبّاسة بنت الفضل من العرب فلم يولد له منها غير أبي وتوفيت، فتزوّج بعدها ريحانة فولدت عبد الله عمّي، ثمّ توفيت فاشترى حسناً فولدت له أم علي زينب، وولدت له الحسن والحسين توأمان، ماتا بقرب ولادتهما، ثم ولدت الحسن ومحمداً فعاشا حتى صارا من السن إلى نحو أربعين سنة، ثم ولدت سعيداً، قيل: كانت والدة عبد الله عوراء وأقامت معه سنين. انتهى.

١٠ - ثباته في المحنة في عهد المعتصم:

ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية): في (ج ١٠) صفحة (٣٤٥): ذكر ما جاء في محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل في أيام المأمون، ثم المعتصم، ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب وقلة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم وكان أحمد عالما بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة والأخبار المأثورة، - إلى أن قال: قال الله تعالى ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَمْ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)) [العنكبوت: ١-٢-٣]

وقال الله تعالى: ((يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) [لقمان: ١٧] ثم أورد حديث سعد بن أبي وقاص عند أحمد في (مسنده) من طريق ابن مصعب بن سعد عن أبيه قال: سألتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ فَقَالَ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ...)) انتهى

قلت: وفي هذا الحديث إشارة لأصحاب البلاء بغير الأجر وعظيم الذخر عند الله عز وجل حيث قرنهم بالأنبياء.

وذكر ابن كثير رحمه الله في صفحة (٣٤٦) ملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السنة.

قال ابن كثير رحمه الله: وقد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاعوه عن طريق الحق إلى الباطل وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز

وجل .

قال البيهقي : ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أميه وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم ، فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له واتفق خروجه إلى طرسوس لغزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثمانى عشرة ومائتين ، فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا ، فهددهم بالضرب وقطع الأرزاق ، فأجاب أكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجندى يسابورى فحُملاً على بعير وسُيِّراً إلى الخليفة عن أمره بذلك وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد ، فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبّادهم يقال له : جابر بن عامر فسَلَّم على الإمام أحمد وقال له : يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم ، وإنك رأس الناس اليوم فأياك أن تجبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة ، وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل ، وإن لم تُقتل تمت وإن عشت عشت حميداً ، قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه ، فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا بمرحلة جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول : يعزُّ عليّ أبا عبد الله أن المأمون قد سلَّ سيفاً لم يسله قبل ذلك ، وأنه يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تُجبه إلى القول بخلق القرآن ليقْتُلَنَّكَ بذلك السيِّف ، قال : فجئى الإمام أحمد على ركبته ورمق بطرفه إلى السماء ، وقال : سيدي غرَّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرَّأ على أولياءك بالضرب والقتل ، اللهم فإن كان القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنَّته ، قال : فجاءهم الصَّريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل ، قال أحمد : ففرحنا ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد وأن الأمر شديد ، فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى ونالني منهم

أذى كثير، وكان في رجله القيود، ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلّى عليه أحمد، فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان، فأودع في السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً، وقيل: نيفاً وثلاثين شهراً، ثم أُخْرِجَ إلى الضَّرْبِ بين يدي المعتصم، وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رجله.

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله: صفحة (٣٤٧): ذكر ضربه رحمه الله بين يدي المعتصم.

قال: لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده، قال أحمد: فلم استطع أن أمشي بها فربطتها في السَّكَّةَ وحملتُها بيدي ثم جاءوني بدابة فحملتُ عليها فكِدْتُ أن أسْقُطَ على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يُمسِكُنِي، فسَلَّمَ اللهُ حتى جئنا دار المعتصم، فأدخِلْتُ في بيت وأغلقَ عليّ وليس عندي سراج فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه، ثم قُمْتُ ولا أعرفُ القبلة، فلما أصبحت وإذ أنا على القبلة والله الحمد، ثم دُعِيتُ فأدخِلْتُ على المعتصم فلما نظر الي وعنده ابن أبي دؤاد، قال: أليس قد زعمتم أنه حدّثُ السنن؟ وهذا شيخُ مكتهل، فلما دنوتُ منه وسلّمتُ، قال لي: أدنّه فلم يزل يُدِينِي حتى قَرُبْتُ منه، ثم قال: اجلس، فجلستُ وقد أثقلني الحديد فمكثت ساعة، ثم قلت: يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه ابن عمك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

قلت: فإني أشهد أن لا إله إلا الله

قال ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس، ثم قلت: فهذا الذي دعا إليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، قال: ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه وذلك أني لم أتفقه كلامه، ثم

قال المعتصم: لولا أنك كنت في يد من قبلي لم أتعرض إليك، ثم قال: يا أبا عبد الرحمن ألم أمرك أن ترفع المحنة؟ قال أحمد فقلت: الله أكبر هذا فرج المسلمين، ثم قال: ناظره يا عبد الرحمن كلمه، فقال لي عبد الرحمن ما تقول في القرآن؟ فلم أجبه، فقال المعتصم: أجبه، فقلت: ما تقول في العلم؟ فسكت. فقلت: القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله، فسكت. فقالوا فيما بينهم: يا أمير المؤمنين كَفَرَكْ وكَفَرْنَا، فلم يلتفت إلى ذلك، فقال عبد الرحمن: كان الله ولا قرآن.

فقلت: كان الله ولا علم. فسكت.

فجعلوا يتكلمون - يعني من لازم قولك كان الله ولا قرآن، كان الله ولا علم، هل تقدر أن تنفي عنه العلم؟ يعني معنى كلام الإمام أحمد هذا -

فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا، فقلت: يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسول الله حتى أقول به.

فقال ابن دؤاد: وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟

فقلت: وهل يقوم الإسلام إلا بهما؟

وجرت مناظرات طويلة واحتجوا عليه بقوله: ((مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ)) [الأنبياء: ٢]، وبقوله: ((اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)) [الزمر: ٦٢].

وأجاب بها حاصله أنه عام مخصوص، وبقوله: ((تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)) [الأحقاف: ٢٥]

فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين ضال مُضِلُّ مُبْتَدِعٌ وَهُنَا قُضَاتُكَ وَالْفُقَهَاءُ فَسَلُّهُمْ، فقال لهم: ما تقولون؟ فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد.

ثم أحضره في اليوم الثاني وناظره أيضا، وفي اليوم الثالث، وفي ذلك كان يعلو صوته عليهم
وتغلب حُجَّتُهُ حُجَّجَهُمْ.

قال: فإذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دواد، وكان من أجهلهم بالعلم والكلام وقد
تنوّعت بهم المسائل في المجادلة، ولا علم لهم بالنقل فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الاحتجاج
بها، وسمعت منهم مقالات لم أكن أظنّ أنّ أحداً يقولها، وقد تكلم معي ابنُ عَوْثٍ بكلام طويل
ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه، فقلتُ: لا أدري ما تقول، إلّا أنّي أعلم أن الله أحد صمد،
وليس كمثله شيء فسكت عني وقد أوردت لهم حديث الرؤية في الدار الآخرة، فحاولوا أن
يضعفوا إسناده ويُلقِّفوا عن بعض المحدثين كلاماً يتسلَّقون به إلى الطعن فيه، وهيهات وأنّي لهم
التناوش من مكان بعيد، وفي غبون ذلك كله يتلطف به الخليفة، ويقول: يا أحمد أجبني إلى هذا
حتى أجعلك من خاصّتي ومَن يَطأُ بساطي، فأقولُ: يا أمير المؤمنين يأتوني بآية من كتاب الله أو
سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى أُجِبُّهم إليها.

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى: ((يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا

يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا)) [مريم: ٤٢]

وبقوله: ((وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)) [النساء: ١٦٤].

وبقوله: ((إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي)) [طه: ١٤].

وبقوله: ((إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)) [النحل: ٤٠].

ونحو ذلك من الآيات، فلمّا لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جَاهِ الخليفة، فقالوا: يا أمير
المؤمنين هذا كافر ضال مُضِل، وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: يا أمير المؤمنين ليس من
تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين، فعند ذلك حمي واشتد غضبه وكان ألينهم عريكة،

وهو يظنُّ أنهم على شيء.

قال أحمد: فعند ذلك قال لي: لعنكَ اللهُ، طمعتُ فيكَ أن تُجيبني فلم تجبني، ثم قال: خذوه، واخلعوه، واسحبوه.

قال أحمد: فأخذتُ، وسُحبتُ، وُخلعتُ، وُجيتُ بي بالعقابين والسيّاطين وأنا أنظر فجر دوني منه وصرتُ بين العقابين، فقلت: يا أمير المؤمنين اللهُ اللهُ، إنّ رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم قال: ((لا يجلُّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا اللهُ إلا بإحدى ثلاث))⁽²⁾ وتلوتُ الحديث وأن رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم قال " ((أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللهُ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم))⁽³⁾ فيم تستحلُّ دمي ولم آت شيئاً من هذا يا أمير المؤمنين؟ اذكر وقوفك بين الله كوقوفي بين يديك، فكأنه أمسك، ثم لم يزالوا يقولون له: يا أمير المؤمنين إنه ضالٌّ مضلٌّ كافر، فأمر بي فقممتُ بين العقابين، وُجيتُ بكرسي فأقمتُ عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبين، فلم أفهم فتخلّعتُ يداي، وُجيتُ بالضرايين ومعهم السيّاط، فجعل أحدهم يضربني سوطين، ويقول له: - يعني المعتصم - شد قطع الله يدك، وجاء الآخر فيضربني سوطين، ثم الآخر كذلك فضربني أسواطاً، فأُعوي عليّ وذهب عقلي مراراً، فإذا سكن الضرب يعود عليّ عقلي، وقام المعتصم إليّ يدعوني إلى قولهم، فلم أجبه، وجعلوا يقولون: ويحك الخليفة على رأسك، فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إليّ فلم أجبه، فأعادوا الضرب، ثم جاء إليّ الثالثة فدعاني، فلم أعقل ما قال من شدة الضرب، ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب، وأرعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقتُ ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت، وقد أطلقت القيود من رجلي وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين

² - متفق عليه

³ - متفق عليه

من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين، ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله وكان جملة ما ضرب نَيْفًا وثلاثين سوطاً، وقيل: ثمانين سوطاً لكن كان ضرباً مُبرِّحاً شديداً جداً، وقد كان الإمام أحمد رجلاً طَوْأً رقيقاً أَسْمَرَ اللَّون كثير التواضع رحمه الله. انتهى

١١ - منعه رحمه الله من التحديث:

كنتُ أعتقد أنه مُنع من التحديث من دولة ذلك الزمن ، وحسب ما قرأته لم أجد صراحةً مل يدلُّ على ذلك، والذي وجدته أن الإمام أحمد لما عاد إلى بيته بعد الضرب جلسَ في بيته ولم يخرج منه لا الجمعة ولا الجمعة، وامتنع من التحديث.

قال ابن كثير في (البداية والنهاية): ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة حين خرج من دار الخلافة صارَ إلى منزله حتى برأَ والله الحمد، ولزَمَ منزله فلم يخرج منه إلى جمعه ولا الجمعة، وامتنع من التحديث، وكانت غلَّته من مُلكٍ له في كل شهر سبعة عشر درهماً ينفقها على عياله، وتَقَنَّعَ بذلك رحمه الله صابراً محتسباً، ولم يزل كذلك مدة خلافة المعتصم، وكذلك في أيام ابنه محمد الواثق.

١٢ - المحنة في عهد الواثق:

قال الإمام الذهبي في (ج ١١) (٢٦٣):

قال حنبل: لم يزل أبو عبد الله بعد أن برى من الضرب يحضر الجمعة والجماعة، ويُحدِّث ويفتي حتى مات المعتصم ووليَّ ابنه الواثق، فأظهر ما أظهر من المحنة والميل إلى أحمد بن أبي دؤاد وأصحابه، ولما اشتد الأمر على أهل بغداد وأظهرت القضاة المحنة، وفرق بين فضل الانطاقي وبين امرأته، وبين أبي صالح وبين امرأته، كان أبو عبد الله يشهد الجمعة ويُعيد إذا رجع، ويقول: تُؤتى الجمعة لفضلها والصلاة تُعاد خلف من قال بهذه المقالة.

وجاء نفر إلى أبي عبد الله وقالوا: هذا الأمر قد فشا، وتفاقم، ونحن نخافه على أكثر من هذا، وذكروا ابن أبي دؤاد، وأنه عزم أن يأمر المعلمين بتعليم الصبيان في المكاتب القرآن كذا وكذا - يعني مخلوق - فنحن لا نرضى بإمارته، فمنعهم من ذلك وناظرهم، وحكى أحمد قصده من المناظرتهم، وأمرهم بالصبر.

قال فبينما نحن في أيام الواثق إذ جاءه يعقوب ليلاً برسالة من الأمير إسحاق بن إبراهيم يقول: إن أمير المؤمنين قد ذكرك، ولا يجتمعن إليك أحد، ولا تساكني بأرض ولا مدينة أنا فيها، فاذهب حيث شئت من أرض الله.

واختفى أبو عبد الله مدة حياة الواثق، وكانت تلك الفتنة، وقُتل أحمد بن نصر الخزاعي، ولم يزل أبو عبد الله مختفياً في البيت لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها حتى هلك الواثق.

وعن أبي عبد الله البوشنجي قال: حدَّث أحمد ببغداد جهرَةً حين مات المعتصم، فرجعت من الكوفة فأدركته في رجب سنة سبع وعشرين - يعني وممتين - وهو يُحدِّث، ثم قطع الحديث لثلاث بقين من شعبان بلا منع، بل كتب الحسن بن علي بن الجعد قاضي بغداد إلى ابن أبي دؤاد إن أحمد قد أنبسط في الحديث، فبلغ ذلك أحمد فقطع الحديث إلى أن تُوفي رحمه الله.

١٣ - انتهاء المحنة بولاية المتوكل على الله:

قال الذهبي رحمه الله في (سير أعلام النبلاء) (ج ١١) (٢٦٥):

قال حنبل: وَلِيّ المتوكل جعفر فأظهر الله السُّنَّةَ، وفرَّجَ عن النَّاسِ، وكان أبو عبد الله يُحدِّثنا ويُحدِّث أصحابه في أيام المتوكل، وسمعتَه يقول: ما كان النَّاسُ إلى الحديث والعلم أحوَجَ منهم إليه في زماننا.

ثم إن المتوكل ذَكَرَهُ وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم في إخراجِه إليه، فجاء رسول إسحاق يأمرُه بالحضور، ومضى أبو عبد الله ثم رجع، فسأله أبي عمَّا دُعِيَ له،

فقال: قرأ علي كتاب جعفر يأمرني بالخروج إلى العسكر - يعني سرَّ مَنْ رأى -

قال: وقال لي إسحاق ابن إبراهيم: ما تقول في القرآن؟

قلتُ: إن أمير المؤمنين قد نهى عن هذا.

قال أبو عبد الله: وقال لي إسحاق بن إبراهيم لا تعلم أحدًا إني سألتك عن القرآن

فقلتُ له: مسألة مُسْتَرشِد أو مسألة مَتَعَنَّتْ؟

قال: بل مسترشد

قلتُ: القرآن كلام الله ليس بمخلوق. انتهى

قال ابن كثير: ولما وَلِيَ المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته لأنه كام مُحبًّا للسُّنَّةِ وأهلها،

ورفع المحنة عن الإمام، وكتب إلى الأفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن، ثم كتب إلى نائبه ببغداد وهو إسحاق بن إبراهيم أن يبعث بأحمد بن حنبل إليه، فاستدعى إسحاق بالإمام أحمد إليه فأكرمه وعظمه لما يعلم من إعظام الخليفة له وإجلاله إياه، وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن، فقال له أحمد: سؤالك هذا سؤال تَعَنَّتْ أو اسْتَرَشَادَ؟

فقال: بل سؤال اسْتَرَشَادَ.

فقال: هو كلام الله منزل غير مخلوق.

فسكّن إلى قوله في ذلك، ثم جهّزه إلى الخليفة في سرٍّ من رأى.

١٤ - حلُّ الإمام أحمد في دولة المتكلم:

قال الإمام الذهبي في (ج ١١) صفحة (٢٦٦-٢٦٧):

قال صالح بن أحمد: قال أبي: قال لي إسحاق بن إبراهيم اجعلني في حلٍّ من حضورى ضربك.

فقلت: قد جعلتُ كلَّ من حضرني في حلٍّ.

وقال لي: من أين قلتَ أنّه غير مخلوق؟

قلتُ: قال الله عز وجلّ: ((أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)) [الأعراف: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ.

قال إسحاق: الأمر مخلوق.

فقال: (ولعله قلتُ): يا سبحان الله أَمْخَلُوقٌ يَخْلُقُ مَخْلُوقًا؟

قلتُ: يعني إنها خَلَقَ الكائنات بأمره وهو قوله: ((كُنْ))

قال: ثم قال لي: عمّن تُحكّي أنه ليس بمخلوق؟

قلتُ: عن جعفر بن محمد قال ليس بخالق ولا مخلوق.

قال حنبل: ولم يكن عند أبي عبد الله ما يتحمّل به أو يُنفقه، وكانت عندي مئة درهم فأتيت بها أبي فذهب بها إليه فأصلح بها ما احتاج إليه واكترى، وخرَج ولم يَمْضِ إلى محمد بن إسحاق بن إبراهيم، ولم يُسلم عليه حين خَرَج، وقال إسحاق بن إبراهيم للمتوكّل: إن أحمد خرج من بغداد ولم يأت مولاك محمداً.

فقال له المتوكّل: يُرَدُّ ولو وطئ بساطي.

وكان أحمد قد بلغ بصره، ورُدَّ، ورَجَع، وامتنع من الحديث إلا لولده وكنّا، وربّما قرأ علينا في منزلنا.

ثم إن رافعاً رَفَعَ إلى المتوكّل، إنَّ أحمد ربّص علويّاً في منزله - يعني أوجده في منزله وسكّنه عنده - يُريدُ أن يُخرجه ويبياع عليه، قال: ولم يكن عندنا علمٌ، فبينما نحن ذات ليلة نيام في الصيف، سمعنا الجلبة، ورأينا النيران في دار أبي عبد الله، فأسرعنا وإذا به قاعد في إزار، ومُظفّر بن الكلبي صاحب الخبر وجماعة معه، فقرأ صاحبُ الخبر كتاب المتوكّل ورد على أمير المؤمنين أن عندكم علويّاً ربّصته لتبائع له وتظّهره في كلام طويل

ثم قال له مظفر: ماذا تقول؟

قال: ما أعرف من هذا شيئاً، وإني لأرى له السمع والطاعة في عسري ويسري ومنشطِي ومكرهي وأثرة عليّ، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار في كلام كثير.

قال مظفر: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك.

قال: فأحلفه بالطلاق ثلاثاً إن ما عنده طلبة أمير المؤمنين، ثم فتشوا منزل أبي عبد الله، والسرب، والغرف، والسطوح، وفتشوا تابوت الكتب، وفتشوا النساء، والمنازل، ولم يروا شيئاً، ولم يُحسوا بشيء ((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ)) [الأحزاب : ٢٥] وكتبَ بذلك إلى المتوكل، فوقع منه موقِعاً حسناً، وعلم أن أبا عبد الله مكذوب عليه، وكان الذي دسَّ عليه رجل من أهل البدع، ولم يمُت حتى بيّن الله أمره للمسلمين وهو ابن الثلج.

١٥ - جهاده لأهل البدع:

قال الذهبي في (السير) (ج ١١) صفحة (٢٩٩):

قال محمد بن إسماعيل الترمذي: كنتُ أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل، فقال له أحمد: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيبة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله ينفُضُ ثوبه ويقول: زنديق، زنديق، ودخل البيت.

وفي صفحة (٢٩٧):

قال أحمد بن محمد بن إسماعيل الآدمي: أخبرنا الفضل بن زياد: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: من ردَّ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة.

قال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا محمد بن إسحاق الصَّغَانِيُّ سمعتُ فوران صاحب أحمد يقول:

سألت الأثر وأبو عبد الله المعيطي أن أطلب من أبي عبد الله خلوةً فأسأله فيها عن أصحابنا الذين يُفرون بين اللفظ والمحكى، فسألته، فقال: كيف تصرّف في أقواله وأفعاله فهو غير مخلوق، فأما أفعالنا فمخلوقة.

قلت: فاللفظية تعدّهم يا أبا عبد الله في جملة الجهمية؟

فقال: لا، الجهمية الذين قالوا القرآن مخلوق.

وبه سمعتُ فوران يقول: جاءني ابن شدّاد برقعة فيها مسائل، وفيها أن لفظي بالقرآن غير مخلوق، وضرب أحمد بن حنبل على هذه، وكتب القرآن كلام الله غير مخلوق.

قال صالح بن أحمد: سمعتُ أبي يقول: من قال إن أسماء الله مخلوقة فقد كفر.

وقال المروزي: سمعتُ أبا عبد الله يقول: من تعاطى الكلام لا يفلح، من تعاطى الكلام لم يخل من أن يتجهم.

وقال حنبل: سمعتُ أبا عبد الله يقول: من أحبّ الكلام لم يفلح لأنه يؤول أمرهم إلى حيرة، عليكم بالسنة والحديث، وإياكم والخوض في الجدال والمراء، ودركنا الناس وما يعرفون هذا الكلام، عاقبة الكلام لا تؤول إلى خير.

وللإمام أحمد كلام كثير في التحذير من البدع وأهلها، وأقوال في السنة، ومن نظر في كتاب السنة لأبي بكر الخلال رأى فيه علماً غزيراً، ونقلًا كثيرًا، وقد أوردت (يعني الذهبي) من ذلك جملة في

ترجمة أبي عبد الله في (تأريخ الإسلام)، وفي كتاب (العزة للعلي العظيم) فترني عن إعادته هنا عدم النية، فنسأل الله الهدي وحسن القصد وإلى الإمام أحمد المنتهى في معرفة السنّة، علمًا وعملاً، وفي معرفة الحديث وفنونه، ومعرفة الفقه وفروعه، وكان رأسًا في الزهد والورع والعبادة والصدق. انتهى

وقال في صفحة (٢٨٩):

قال المروزي: أخبرتُ أبا عبد الله أن أبا شعيب السُّوسِي الرَّقِي فرَّق بين ابنته وزوجها لَمَّا وَقَفَ في القرآن.

قال: أَحَسَنَ عَاقَاةُ اللَّهِ، وَجَعَلَ يَدْعُو لَهُ.

ولَمَّا أَظْهَرَ يَعْقُوبُ بْنُ شَيْبَةَ الْوَقْفَ حَدَّرَ مِنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ وَأَمَرَ بِهِجْرَانَهُ.

ولأبي عبد الله في مسألة اللفظ نُقُولٌ عِدَّةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ مَسْأَلَةَ اللَّفْظِ حُسَيْنُ بْنُ عَلِي الكَرَابِيسِي، وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ، وَوَضَعَ كِتَابًا فِي الْمَدْلُوسِينَ يُحْطُّ عَلَى جَمَاعَةٍ فِيهِ أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَفِيهِ أَحَادِيثٌ يَقْوِي بِهَ الرَّافِضَةَ، فَأُعْلِمُ أَحْمَدَ فَحَدَّرَ مِنْهُ، فَبَلَغَ الْكَرَابِيسِي فَتَنَّمَرًا، وَقَالَ لِأَقُولَنَّ مَقَالَةً حَتَّى يَقُولَ ابْنُ حَنْبَلٍ بِخِلَافِهَا فَيَكْفُرُ، فَقَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ.

فقال المروزي في كتاب ((القصص)) فذكرتُ ذلك لأبي عبد الله أن الكرابيسي قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وأنه قال: أقول إن القرآن كلام غير مخلوق من كل الجهات إلا أن لفظي به مخلوق، ومن لم يقل لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر.

فقال أبو عبد الله: بل هو الكافر قاتله الله، وأي شيء قالت الجمهية إلا هذا، وما ينفعه وقد نقض كلامه الأخير كلامه الأول، ثم قال: إيش خبر أبي ثور أوافقته على هذا؟ قلت: قد هجره. قال: أحسن، لن يفلح أصحاب الكلام. انتهى من (السير).

وقال إسحاق بن إبراهيم البغوي: سمعتُ أحمدَ يقول: مَنْ قال القرآن مخلوق فهو كافر، وسمع سلمة بن شبيب أحمد يقول ذلك، وهذا متواتر عنه.

وقال أبو إسماعيل الترمذي: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: من قال القرآن مُحدث فهو كافر.

وقال إسماعيل بن الحسن السَّراج: سألتُ أحمدَ عن يقول: القرآن مخلوق. قال: كافر.

وعمن يقول لفظي بالقرآن مخلوق؟ فقال: جهمي.

قلتُ: (القائل: هو الذهبي): الذي استقرَّ الحال عليه أن أبا عبد الله رحمه الله كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق: فهو مبتدع، وأنه من قال: لفظي بالقرآن مخلوق: فهو جهمي. فكان رحمه الله: لا يقول هذا ولا هذا. وربما أوضح ذلك فقال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق، يُريد به القرآن: فهو جهمي.

قال أحمد بن زنجويه: سمعتُ أحمد يقول: اللَّفْظِيَّةُ شَرٌّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ. انتهى من (السير).

قلتُ (يعني الشيخ النجمي): جهادُه رحمه الله لأهل البدع كثيرة، وفيه كلام كثير، وأختصر على هذا خشية الإطالة.

١٦- وفأثمه:

قال الذهبي رحمه الله: في (ج ١١) صفحة (٣٣٤) من (السير): **مرضُهُ:**

قال عبد الله: سمعتُ أبي يقول: استكملتُ سبعا وسبعين سنة، ودخلتُ في ثمان، وحمَّ من ليلته، وماتَ اليوم العاشر.

قال صالح: لما كان أوَّل ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومئتين حمَّ أبي ليلة الأربعاء، وبات وهو محموم يتنفس تنفسا شديداً، وكنتُ قد عرفتُ علته، وكنتُ أمرُّه إذا اعتلَّ، فقلتُ له: يا أبة على ما أفطرتَ البارحة؟ قال: على ماء باقلي (قلتُ: الباقي هو: الدغل، بلهجة أهل الجنوب).

كان الإمام أحمد زاهداً لا يقبل من أحدٍ شيئاً، وكان يعيش على سبعة عشر درهماً يأخذ بها من إيجار البيوت التي خلفها له أبوه، والسبعة عشر درهماً تساوي أربعة ريالات ورُبُع، كانت أهله تغزل أحياناً، وتُرسل غزلها للسوق تبعه بدرهمين أو نحوها، ولما أخذت ملبسه وهو بمكة وافتقده بعض أصحابه وبحث عنه، فإذا هو بخربة، لم يستطع أن يخرج، وعرض أن يُعطيه شيئاً، فأبى، فقال له: قرضاً، فأبى، أنسخُ لك السماعات التي سمعتها من فلان، وأخذ منه على أن ما

أعطاه يكون أُجرة في النسخ.

ولما نفدت نفقته هو بصنعاء وعرض عليه شيخه عبد الرزاق رحمه الله دنانير، فأبى أن يقبلها، وأجر نفسه من الجمالين، والحكايات بالزهد، وتقشفه كثيراً.

والمهم أنه جلس يُمرّض وتُوْفِّي في ضحى يوم الجمعة ١٢ من ربيع الأول.

وقال صالح: واجتمعت عليه أوجاع الحصر (كأنه الحصر بالبول) وغير ذلك، ولم يزل عقله ثابتاً، فلما كان يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول لساعتين من النهار توفي رحمه الله، وكانت جنازته حافلة لو يرى مثلها.

قيل: حضر الذين صلوا عليه من الرجال بـ (٨٠٠) ألف، ومن النساء (٦٠) ألف.

قال الذهبي في صفحة (٣٣٩):

قال موسى بن هارون الحافظ: يُقال أن أحمد لما مات، مُسِحَّت الأَمَكِنَة المبسوطة التي وقف الناس للصلاة عليها، فَحَزَرَ مقادير الناس بالمساحة على التقدير ست مئة ألف أو أكثر سوى ما كان في الأطراف والحوالي والسُطُوح والمواضع المتفرقة أكثر من ألف.

وقال الذهبي أيضاً: صفحة: (٣٤٠):

وقال جعفر بن محمد بن الحسين النيسابوري: حدّثني فتح بن الحجاج قال: سمعتُ في دار ابن طاهر الأمير، أن الأمير بعث عشرين رجلاً فَحَزَرُوا كم صلّى على أحمد بن حنبل، فَحَزَرُوا فَبَلَغَ ألف ألف وثمانين ألفاً سوى من كان في السُّفن.

قال: بلغوا ألف ألف وثلاث مئة ألف.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سمعتُ أبا زرعة يقول: بلغني أن المتوكل أمر أن يُمسح الموضع الذي وَقَفَ عليه الناس حيث صُليَّ على أحمد فبلغ مقام ألفي ألف وخمسة مئة ألف.

وقال أبو بكر البيهقي: بلغني عن أبي القاسم البغوي أن ابن طاهر أمر أن يُحزَّر الخلق الذين في جنازة أحمد، فاتفقوا على سبع مئة الف نفس.

وأقول: إن بعض الروايات فيها مبالغة، ولعلَّ الرواية الأخيرة.. تكون أقرب إلى الصواب.
والله أعلم.

١٧- مؤلفاته، ومنهجه في التأليف:

قال الذهبي في (ج ١١) صفحة (٣٢٧):

قال ابن الجوزي: كان الإمام لا يرى وَضْعَ الكُتُبِ، وَيَنْهَى عن كتبه كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة، وصنّف المسند وهو ثلاثون ألف حديث.

قلتُ: (الشيخ حفظه الله): كما في الطبعة المرقّمة (٢٨١٩٩) حديثاً، وهي طبعة دار الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، واطلعنا على الترقيم في المسند المحقق في (٤٥) جزءاً، ووجدنا الرقم الأخير (٢٧٦٤٧) حديثاً، بتحقيق شعيب الأرنؤوط ومن معه من المحققين، وذلك في طبعة مؤسسة الرسالة.

وكان الإمام أحمد يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند، فإنه سيكون للناس إمامًا، والتفسير وهو مئة وعشرون ألف حديث، ولكنه مفقود.
والناسخ والمنسوخ، والتأريخ، وحديث شعبة، والمُقدِّم والمُؤخَّر في القرآن، وجوابات القرآن، والمناسك الكبير والصغير، وأشياء أخرى. انتهى ما أردتُ نقله.

وبالجمله لم يذكر الذهبي ردَّ الإمام أحمد على الجهمية.
قلتُ (القائل هو: الإمام الذهبي): ومن مؤلفاته كتاب (الإيمان) وكتاب (الأشربة)، ورأيت له ورقة من كتاب (الفرائض) فتفسيره المذكور شيء لا وجود له، ولو وُجد لاجتهد الفضلاء في تحصيله ولاشتهر، ثم لو أُلِّف تفسيراً لما كان أزيد من عشرة آلاف أثر، ولاقتضى أن يكون في خمس مجلدات.

١٨- والأخير: منهج الإمام أحمد في تأليف المسند:

التأليف ينقسم إلى أقسام:

١- **التأليف على الأبواب:** كتأليف صاحبِي الصحيحين البخاري ومسلم، وأصحاب السنن أبو داود، والترمذي والنسائي وابن ماجه.

٢- التأليف على المسانيد

: وهو أن تُجمع كل أحاديث الصحابة في مكان واحد، وهي طريقة الإمام أحمد في (مسنده).

٣- **التأليف على طريقة المعاجم:** وهو أن يأتي بالأحاديث بحسب معجم شيوخه، والتسديد قد

يكون في المسانيد والمعاجم على حسب الأهمية في الفضل، أو الأقدمية في السن، أو الترتيب على حروف المعجم.

وإن الإمام أحمد رحمه الله قد رتب كتابه (المسند) على مسانيد الصحابة، كعادة أهل المسانيد، وهو أن يجعل أحاديث كل صحابي على حدة صحيحاً كان أو حسناً أو ضعيفاً، من غير إلتفات إلى الموضوعات أو الأبواب، ويتبع في ترتيب مسانيد الصحابة على طرائق عدّة. وقد رتب على حروف الهجاء، أو على السابقة في الإسلام، أو الشرافة النسبية، أو غير ذلك، وقد يقتصر في بعضها على أحاديث صحابي واحد كمسند أبي بكر، أو أحاديث الجماعة منهم، كمسند الأربعة، أو العشرة، أو طائفة المخصوصة يجمعها وصفٌ واحد كـ(مسند المقلّين من الصحابة) و(مسند الصحابة الذين نزلوا مصر)، انظر (الرسالة المستطرفة) (ص ٦٠-٦١).

ويظهر أن الإمام أحمد رحمه الله قد توخى ترتيب الصحابة في (مسنده) حسب اعتبارات عدّة: منها: الأفضلية، والسابقة في الإسلام، والشرافة النسبية، وكثرة الرواية.

- بدأ مسنده بمسانيد الخلفاء الأربعة،
- ثم مسانيد بقية العشرة المبشرين بالجنة
- ثم مسند أهل البيت
- ثم مسانيد المكثرين من الرواية (كالعبادة الأربعة): ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمر،

وابن عمرو.

- ثم مسند المكيين

- ثم مسند المدنيين

- ثم مسند الشاميين

- ثم مسند الكوفيين

- ثم مسند البصريين

- ثم مسند الأنصار

- ثم مسند النساء

انظر (مقدمة المسند) في (ج ١) (٥٤-٥٥) بتحقيق شعيب الأرنؤوط ومن شاركه.

والحمد لله على تمام هذه الترجمة لعلم من أعلام الملة، وإمام من أئمتها، فقد حرصت على أن تكون هذه الترجمة مختصرة، وإلا فإن الكتابات عن الإمام أحمد كثيرة، قد ترجم الذهبي للإمام أحمد في (سير أعلام النبلاء) في حوالي صفح ١٨٠ حة. وخصص بعضهم ترجمته بالتأليف وجاءت مجلد مستقلة.

وفي النهاية ينبغي أن نتخذ من هذا الإمام الأسوة والقودة حيث كانت أخلاقه، وأعماله تشمل السنة.

والله الموفق والمعين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

قام بهذا التفريغ الراجي عفوره:

ناصر الدين الجزائري

الجزائر: يوم ٢١ نوفمبر ٢٠٠٥

